مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 2 (جوان) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الطفل في نماذج من الإنتاج الثقافي خلال العصر الوسيط: جرد وتحليل بيبليوغرافي

The child in the models of cultural production during the Middle Ages: an inventory and analysis of bibliographic

اسم ولقب المؤلف المرسل: عثمان عاشير- Outman achir صص300-318
الدرجة والعنوان المهني: طالب باحث في سلك الدكتوراه- أستاذ التعليم الثانوي- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي- المغرب.
البريد الإلكتروني: outman.achir@usmba.ac.ma

تاريخ استقبال المقال: 2021/03/14 تاريخ المراجعة: 2021/04/18 تاريخ القبول: 2021/05/23

الملخص: ليس غريبا أن يتأثر أهل العلم والقلم في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بالحضور القوي للطفل في بنيات المجتمع ومعتقداته، حسبا دليلا في ذلك، المكانة التي احتلتها الأسس التربوية لتنشئة الأطفال وتعليمهم في مقدمة ابن خلدون؛ إذ لم يهمل الحديث عن ضروراتها وأسسها ومشكلاتها فقط، بل جعل العلم والتعليم من ضرورات العمران البشري. كما أن الأنموذج الذي قدمه في تربية وتعليم الأطفال اختلف باختلاف الأمصار.

ولا شك أن الإنتاج الثقافي خلال العصر الوسيط استحضر مركزية التربية في تنشئة الأطفال وبناء الإنسان جسديا وروحيا، من تجليات ذلك مساهمة علماء القيروانمساهمة فعالة في تأصيل الفكر التربوي فضلا عما قدمته المدرسة المشرقية من خلال أنموذج بدر الدين ابن جماعة وابن سينا. وإن اختلفت أراء هؤلاء في التقعيد والتأصيل للتربية والتأديب إلا أن التقليد في التحرير غلب على الكثير منها، فالتقت في الغالب عند المقاربة الدينية الفقهية. والحال أننا نعتقد أن معالجة ابن خلدون لهذه القضايا تجاوزت هذا التقليد، واتسمت برؤية جامعة للبعدين النفسي والروحي للطفل. وهو ما يكشفه النص التالي:

"إن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق

على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له عادات وخلقا، وفسدت معانيه الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن (...) وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف".

الكلمات المفتاحية: الإنتاج الثقافي؛ العصر الوسيط؛ الغرب الإسلامي؛ الطفل؛ الطفولة؛ النمو؛ الفكرالتربوي؛ التنشئة الاجتماعية؛ التربية؛ التأديب.

Abstract: It is not surprising that the scholars and writers in the Islamic West were influenced by the strong presence of the child in the structures and beliefs of society during the medieval era. This was well touched inin the Introduction of of Ibn Khaldunwhere he stressedthe place occupied by the educational foundations for the upbringing and education of children . Besides, he didn't only tackle its necessities, foundations and problems, but also made science and education one of the necessities of human development. The model he presented in raising and educating children differed according to different regions.

There is no doubt that the cultural production during the medieval era evoked the centrality of education in the upbringing of children and the building of the human being physically and spiritually, one of the manifestations of this is the contribution of scholars of Kairouan, an effective contribution to the rooting of educational thought. The bulk of thispaper is dedicated to explainingthese issues within discsusing what was provided by the Levantine school through the model of Badr al-Din Ibn Jama'a and Ibn Sina, in spite of the difference in opinions regarding consecration and rooting for education and discipline, "except that the tradition in editing prevailed over many of them."

It mostly met at the religious jurisprudential approach. In fact, we believe that Ibn Khaldun's handling of these issues went beyond this tradition and was characterized by a vision that encompasses the psychological and spiritual dimensions of the child. This is what the following text reveals:

"Being sensitive to the limit in education is harmful to the learner, especially at the early age of the child, because it is from the bad behavior. And whoever was brought up with oppression and violence among the educated, Mamelukes, or servants, was subjected to oppression, and narrowed the soul in its relaxation, went with its activities, and called him to laziness, and carried on lying and malice, and he Pretending to be different from what is in his conscience for fear of being exposed to oppression , and his knowledgement of deceit for that, became his habits and morals, and his human meanings were

corrupted in terms ofMeeting and rehearsing (...) Thus, for every nation that fell into the grip of oppression and suffered from abuse. "

In this way, Ibn Khaldun stated that the excessive cruelty and tyranny of children during their early developmental stages has more effect, as it generates a bad behaviour inherent to them that remains firmly instilled in their depths from which it is difficult to break away. To a very large extent, an honest overseer in contemporary education issues cannot deny this psychological fact.

Education, then, according to Ibn Khaldun, is a comprehensive concept that deals with the child in its physical, psychological, intellectual and moral dimensions, and by that it is similar to what is recently termed social upbringing. Despotism in the upbringing of young children, for example, inevitably leads to the manufacture of a deviant society; Lost the warmth and the sense of belonging to humanity, as we shall clarify in this research paper.

Key words : Cultural production; The middle age; Islamic West; Child; Childhood; the growth; Educational thought; Socialization; Education; Disciplinar.

مقدمة: قد يكون من الأجدر أن نشير منذ البداية إلى إشكال معرفي يعترض سبيل كل من يروم الخوض في موضوع الطفل من خلال الإنتاج الثقافي وتفرعاته، ويتعلق الأمر بـ"استعادة الطفولة المفقودة". فالطفل في الإنتاج الأدبي على سبيل المثال لا يمثل نفسه، بل يجري تمثيله وتقديمه من قبل الكبار؛ حيث يصبح في الغالب طفلا مستعاذا يتحدث الآخر "الكبير" نيابة عنه بواسطة الذاكرة والذهنية التي اختبرت الحياة.

وازداد الأمر تأكدا ورسوخا، بعدما حاولنا اقتفاء "صورة الطفل" في المجتمع المغربي الأندلس اعتمادا على ما جادت به قرائح الشعراء والأدباء خلال العصر الوسيط من أشعار وأزجال وأمثال[1]، كشفت محاولة الاشتغال بنماذج منها عن صعوبة إنجاز ذلك؛ فمساءلة بعض منها أعطت أسئلة مفتوحة ومتشعبة نرجو أن نتمكن في مستقبل الأيام من الإجابة عنها.

وفي كل الأحوال، واعتبارا لأهمية المنتوج الثقافي عموما، في فهم ما تنطوي عليه مرحلة الطفولة من خصائص فيزيولوجية ونفسية واجتماعية، تبين أنه لا محيد من الاهتمام بهذا المجال أثناء الاشتغال بموضوع صورة الطفل، ولو في إحدى جزئياته، ويتعلق الأمر برصد حضور الطفل في الإنتاج الثقافي من خلال أنموذجا: كتب الطب والتربية.

حتى وإن كان الغالب على الظن- بناء على ما اطلعت عليه لحد الآن- أن تتبع هذا الصنف من الكتب بشكل دقيق يطرح أكثر من ملاحظة؛ تتعلق بقلة النصوص المصدرية الخالصةالتي ألفت في هذا الاتجاه خلال العصر الوسيط خاصة في مجالي المغرب الأقصى والأندلس. وهو ما دفعنا إلى اعتماد كل ما هو متاح منها بغض النظر عن مجال تأليفها أهو الغرب الإسلامي أم المشرق العربي.

وعلى الرغم من ذلك، فإننا لا نستبعد إمكانية مساهمة الخطاب الثقافي بالغرب الإسلامي خلال الفترة قيد الدرس عن بعض الجوانب التي تعكس حضور الطفل بمراحله النمائية العمرية منذ لحظة ما قبل الولادة وحتى سن البلوغ في مختلف أشكال الوعي الفكري والصحي والتربوي

أولا: جرد بيبليوغرافي: ليس غريبا أن تشكل تربية الطفل والعناية به صحيا ونفسيا، وحمايته من مختلف أشكال العنف والإهمال، أحد أبرز الموضوعات التي اهتم بها العلماء والفقهاء العرب والمسلمون الأوائل. ونتوفر على فيض من المؤشرات الدالة على صدق هذا الاستخراج؛ فقد أفاض محمد ابن سحنون[2] ابن الجزار القيرواني[3] وأبو الحسن القابسي[4] وابن سينا[5] وبدر الدين ابن جماعة[6] وابن خلدون[7] في الحديث عن العناية بتنشئة الطفل وصحته في مراحل نموه المختلفة، بدء من الحياة الجنينية وحتى بلوغه سن الرشد. محددين في ذلك طرائق العناية الصحية، وأساليب التنشئة الاجتماعية والأسروية، المساعدة في تكوين وتركيز القيم الأخلاقية والدينية السليمة لدى الأطفال، عن طريق التعلم والتدبير والتدريب الحسن، من أجل تقمص شخصية الأكبر منهم سنا استعدادا للحلول محلهم.

ومن نافل القول، التأكيد على أن الاعتبارات التي دفعت هؤلاء الفقهاء والعلماء المسلمين إلى الاهتمام بهذه الشريحة العمرية، تتشابه في جزء منها مع الدوافع التي جعلت جملة من الباحثين المعاصرين في مختلف التخصصات يسخرون أقلامهم لإبراز الخصوصيات النفسية والاجتماعية والوجدانية التي تميز مرحلة الطفولة. فهل رعيت هذه الجوانب حقا في الإنتاج الثقافي- الذي هم الطفل- خلال العصر الوسيط؟

من إنصاف الحقيقة الإقرار بعدم القدرة على اختراق مختلف القضايا التربوية والصحية والوجدانية التي جاد بها الإنتاج الثقافي عن الطفل خلال العصر الوسيط، وهو ما

يشكل ضمنيا اعترافا بالعجز عن الإجابة عن هذا التساؤل- اعتبارا لطبيعة موضوع هذه الورقة البحثية-، فهناك وبلا ريب جوانب عدة من حياة الطفل في المجتمع المغربي-الأندلسي فترة هذا البحث، تحتاج إلى الكثير من الإثراء والتوسع في البحث والتقصي. لذا سيتركز مجهودنا في هذه الورقة البحثية على محاولة إثارة تلك القضايا عبر إنجاز جرد وتحليل بيبليوغرافي لأهم المظان التي احتوت متونها إشارات إلى ذلك.

والأمل معقود أن تتقوى الهمة أكثر في بناء مقاربة نفسية تربوية وتركيبها تركيبا تاريخيا يهم سياسة "تدبير وتنشئة الصبيان" بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، لما سيقدمه ذلك من إجابات عن الكثير من الإشكالات المعاصرة التي تهم هذه الشريحة العمرية.

1- محمد بن سحنون[8]: "آداب المعلمين"[9]: كتاب "آداب المعلمين" تصنيف محمد بن سحنون، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، عبارة عن مسائل في أبواب التربية والتعليم، كان قد ألقاها على أبيه سحنون (ت 240هـ/854م)، حيث أتى في ذلك على كثير من المسائل المتعلقة بالمعلمين، وما يجب عليهم نحو تعليم الصبيان وتأديبهم. لذا يعتبر مؤلفه من أبرز أعلام "التربية والتعليم" الذين كان لهم فضل السبق في إثراء النظام التربوي بالغرب الإسلامي، خاصة وأنه اشتغل بالتعليم في القيروان. على الرغم من صغر حجم الرسالة التي تركها[10]. حيث استهل ابن سحنون رسالته بتبيان أهمية تعلم القرآن العزيز، باعتباره منبع العلوم وأساسها، مستندا في ذلك على أحاديث نبوية شريفة[11]وهو ما نعتقد في توافقه مع ما كان منتشرا في زمانه، خاصة في المغرب؛ حيث يتم تعليم القرآن قبل كل شيء[12].

ولما كان فعل التعلم، في الغالب، له أساليبه، ومعارفه التي يلزم تعلمها، نلاحظ أن ابن سحنون - رغم كونه لم يخصص فصلا لذلك - يستحضر كل ما يهم طريقة التعليم والمواد التي يلزم تعلمها، وهو ما يستشف من ثنايا رسالته حين أشار على المعلم بما ينبغي أن يعلم الصبية، ومن ذلك قوله: "ويلزم أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم، والشكل، والهجاء، والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والترتيل {...} وينبغي ان يعلمهم الحساب، وليس ذلك لازم له، وكذلك الشعر، والعربية، والخط، وجميع النحو، وهو في ذلك متطوع"[13].

وفضلا عن ذلك، اشترط ابن سحنون في تعلم بعض هذه العلوم جملة من المحددات الواجب مراعاتها أثناء تعليم الصبيان، منها «أن يجعل الصبيان يملي بعضهم على بعض،

لأن ذلك منفعة لهم، وليتفقد إملاءهم، ولا يجوز أن ينقلهم من سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها، إلا ان يسهل له الآباء"[14] .

والظاهر إذن، أن ممارسة العملية التعليمة لم تكن بمعزل عن مبدأ العقاب، بشكل "يصور الطفل على أنه كائن يجوز للمعلم إكراهه وتأديبه لفائدته تحقيقا لمنفعته"[15]،وهوما عبر عنه المؤلف في معرض الحديث عن علاقة المعلم بالمتعلم حين قال "ولا بأس أن يضربهم عل منافعهم ولا يجوز بالأدب ثلاث إلا ا يأذن الأب في ذلك، إذا آذى{الصبي} أحدا. ويؤدبهم عل اللعب والبطالة ولا يتجاوز بالأدب عشرا[16].

واللافت للنظر في هذا السياق، أن ابن سحنون أثناء حديثه- عن مسوغات العقاب، لم يكتف بتحديد شروط تتصل بالمقدار والكيفية[17] ، بل تجاوز ذلك إلى الحديث عن ضرورة إشراك الأسرة. بشكل يخيل إلينا على أنها دعوة إلى التعاون بين البيت والمدرسة لإنجاح "العملية التعليمية".

خلاصة القول إن كتاب ابن سحنون- على صغر حجمه- هو بمثابة منهج قويم في تربية وتعليم الصبيان خلال العصر الوسيط، بإمكان الباحث الذي يطرق هذا الموضوع العودة إليه من أجل الكشف عن جوانب عدة تهم تربية وتأديب وتعليم الصبيان، خاصة وأن المؤلف استرشد في تأليفه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، وبوقائع وقعت ودقق فيا النظر، فأصدر عليه أحكاما انطلقت من الواقع وعادت إليه.

ابن الجزار القيرواني[18] - "**سياسة الصبيان وتدبيرهم**"[19]: كتاب "سياسة الصبيان وتدبيرهم" نعتقد أنه تأليف يندرج في إطار النشاط العلمي الواسع الذي شهده القرن الرابع الهجري بإفريقية منذ ابن سحنون، وفق سياق عكس زيادة الاهتمام والانشغال من طرف مؤلفي هذا الحيز الجغرافي من الغرب الاسلامي، بالقواعد الصحية والتربوية والتعلمية التي تهم تدبير حياة الصبيان كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[20].

ميزة هذا التأليف، أن مؤلفه أفرده للحديث عن القواعد الصحية والتربوية اللازمة لرعاية الأطفال وسلامتهم، إذ قدم من خلال أبواب الكتاب الاثنين والعشرين فكرة عن أمراض الأطفال التي كانت متفشية، ونوع الأدوية والعلاج التي كانت مستعملة، إلى جانب تحديده للإجراءات الواجب اتخادها من أجل حفظ صحة هذه الشريحة العمرية بصورة متكاملة، بما في ذلك تغذيتهم ومضجعهم وغسلهم وتنظيفهم وإرضاعهم، وصفات اللبن

وتركيبته[21] ... دون أن يغفل أهمية الاشارة إلى ضرورة الحرص على تلقينهم التربية الحسنة[22] التي تتوافق مع طبيعته الفطرية.

وعليه، فقد استهل ابن الجزار تأليفه بالتأكيد على أن تربية الطفل تبدأ في مرحلة ما قبل الولادة، وذلك من خلال الحرص على اختيار الزوجة التي سوف تكون أما صالحة، وتورث ابنها صفاتها الخَلْقِية والخُلُقية[23]، وهو ما يتوافق مع ما أشارت إليه بعض مضان المرحلة الوسيطة؛ فقد نصح ابن الخطيب[24] بالإقبال على الزواج ممن "غلب عليهن حسن الشيم، المترفعة القيم، ما لا يسوئك في خلدك، أن يكون في ولدك".

علاوة على ذلك، قدم المؤلف وصفا كاملا للمرضعة وللبنها المحمود والمذموم، مع إبراز أهم العلاجات الواجب اتباعها من أجل اصلاحه، ثم يعطي بعد ذلك فكرة شاملة عن التربية الصحية للرضيع وأساليب العناية به من مختلف الأمراض التي يمكن أن تصيبه حسب سنه، إذ يحتوي الكتاب على ذكر ستة وعشرين مرضا شائعا بين الأطفال، استعرضها المؤلف كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين[25] "بطريقة هرمية من أعلى البدن إلى أسفله: فيسمي المرض ويصف أعراضه، ثم يحدد العلاج والدواء وتركيبته، قبل أن ينتقل إلى تحديد كيفية تناوله".

وفي آخر أبواب الكتاب، ينتقل ابن الجزار للحديث عن أهمية التربية، بعدما يفصل في طبائع الصبيان وعاداتهم موضحا أهمية تعويد الطفل على العادات المحمودة التي إذا اتفقت مع طبيعته استحال الاقلاع عنها، وهو ما أشار إليه ابن الخطيب[26] في نص بليغ يحث على تعهد الأولاد بالتربية الصالحة في صغرهم " وأما الولد، أحسن تربيتهم واجعل الخير دأبهم، وخِفْ عليهم من إشفاقك وحنانك، أكثر من غلظة جنانك{...} وحبب إليه مراس الأمور الصعبة المراس، وحصن الاصطناع والاغتراس{...} وجاهد أهواءهم من عقولهم، واحذر الكذب على مقولهم، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم، وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم. وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت، واقْذعْها إلى هجمت، قبل ان يظهر تضعيفها، ويقوى تضعيفها، فإن اعجزتك في صغرهم الحيل، وعظم الميل.

إن الغصون إن قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب.

أبو الحسن علي القابسي[27] "**الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**"[28]: "الرسالة المفصلة" من النماذج التي تحدث مؤلفها عن العملية التربوية في

الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، عالج فيها مواضيع عدة، شملت المعلم، والمتعلم، والبيئة التربوية، وإلزامية التعليم... فجاءت بذلك "متممة بشمول مواضيعها كتاب محمد ابن سحنون"[29]. كما شكلت آراء مؤلفها تعبيرا صادقا عن القضايا التعليمية التي كانت مطروحة في المجتمع الذي ينتمي إليه.

ضم الكتاب ثلاثة أبواب كبرى، لم يسهب مؤلفه في الحديث عن الآداب والشروط التي يجب توفرها في طلب العلم. فالرسالة كما هو واضح من عنوانها تنصب بصورة كبيرة على معالجة أحوال المعلمين والمتعلمين، وجاء هذا الاهتمام من باب إبراز طبيعة العلاقة التي تنشأ بين الطرفين (المعلم/المتعلم)، وخاصة في الجانب الديني. "فالعلاقة بين المعلم والمتعلم عند أبي الحسن القابسي تقوم على أسس واضحة تتحدد بموجبها حقوق وواجبات لكلا الطرفين"[30].

ويبدو أنه لفرط الاهتمام بإبراز خصائص ومحددات هذه العلاقة، لم يتوان المؤلف في مستهل رسالته- الباب الأول- من تحديد أصول التعليم الأخلاقي في الاسلام، حيث رسم للمعلمين خطا سلوكيا مستوحى من المبادئ الدينية في التعامل مع الصبيان، فيقول "إن خير ما يقتدى به هو النبي محمد عليه الصلاة والسلام"[31]. وضمن السياق نفسه يدعو أولياء الصبيان إلى وجوب التعليم للجميع (أولاد وبنات).

وبالمثل، وضح في مضامين الباب الثاني، ما ينبغي للمعلم أن يعلم الصبيان إياهم، وما لا ينبغي أن يأخذ منهم عليه أجرا. ثم انتقل ضمن الباب نفسه، مع كثير من الإسهاب، في إبراز دور المعلم في تدبير الصبيان، وقيامه عليهم، وعدله فيهم، ورفقه بهم؛ موضحا في ذلك، كيفية الاشتغال معهم، وترتيب أوقات دراستهم وكتابتهم والعقوبة[32]الواجبة في تأديبهم وما يرتبط بها من شروط تتصل بالمقدار والكيفية والأداة.

وعلى الرغم من ذلك، فقد عاد المؤلف في الباب الثالث، للتذكير بالتفاصيل التشريعية والمهنية المتصلة بإجارة المعلم والهدايا المباحة له، مع تكرار بعض المبادئ التربوية والمتعلقة أساسا بالعقوبة في حق المتعلمين، بشكل يوحي أنها مجرد حل ثانوي، وإجراء إجباري لاحق بعد التنبيه والتحذير، على أساس أن القاعدة هي اعتماده مبدأ الرفق والمعاضدة[33].

ولا تعوزنا الدلائل الكاشفة عن هذا التوجه القائم على التدرج في العقوبات والتنوع في أشكالها، فقد أقر الإمام أبو الحسن القابسي بوجوب أن تتناسب العقوبة مع الجرم ليكون لها مردود تأديبي، فعقوبة الضرب لا يكون إنزالها بالطالب إلا على جرم متناسب معها. مع التأكيد على وجوب تنبيه التلميذ مرة بعد مرة، فإذا أكثر يستعمل الزجر والتوبيخ دون التجريح، فإذا لم يجد نفعا يلجأ إلى الضرب وفق الضوابط التالية"[34].

- ألا يضرب وهو غضبان، وألا يلجأ إلى الضرب إلا علاجا أخيرا.
- أن يستأذن ولي أمر الطلاب، وألا يكون الضرب فيه نوعا من الانتقام.
- أن يضرب بنفسه ولا يكلف غيره، وأن يضرب في مواطن ليس فيها خطر، وأن يعدل في العقوبة.

صفوة القول، إن الفقيه أبا الحسن القابسي كان على دراية واسعة بأساليب التربية والتعليم. مصداق ذلك تأكيده على أهمية فهم الخصائص النفسية والاجتماعية للصبيان، وتجنب العنف بمختلف أشكاله (الرمزي/المادي) لما في ذلك من ضرر يؤدي بهم إلى النفور والخمول. كما أن في إفراده ثماني صفحات كاملة من "الرسالة المفصلة" للحديث عن العقاب البدني وتفصيله، وتحذير المعلمين من الإكثار منه، ما يوحي بشكل غير مباشر على انتشار هذه الظاهرة في سلوك معلمي عصره، وهو ما كشفت نوازل المرحلة[35] قيد الدرس عن جزء منه، لدرجة دفعت أحد الباحثين إلى القول "إن الكهل لا يتذكر المؤدب دون تذكره "فلقته"[36].

بدر الدين ابن جماعة[37]،"**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**"[38]: "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم" كتاب يطلعنا من الناحية التاريخية على صور من الحياة التعليمية بالشرق الإسلامي في عصر المؤلف من حيث يستعرض طبيعة العلاقة بين المعلم والمتعلم والحياة في المدارس، وكيفية ترتيب الأوقات والطلبة فيها، بما يسمح بإجراء مقارنة مع ما كان سائد في الغرب الإسلامي . الذي يشكل مجال هذه الدراسة.

من جانب آخر، يعتبر المؤلف مرجعا يمكن أن يساهم في إبراز الخصائص التي تمتاز بها صورة الطفل في كتب التراث التربوي الإسلامي؛ وذلك لما فيه من موضوعات تربوية تهم طبيعة العلاقة بين المعلم والمتعلم، وما يلزم هذا الأخير من تأدب في تعامله مع نفسه ومعلمه وما يتعلمه من علم والمكان الذي ينهل منه هذا العلم.

رتب ابن جماعة موضوعات تأليفه على خمسة أبواب[39]تحيط بمقصود الكتاب؛ جاء الأول مختصرا في فضل العلم وأهله، وشرف العالم ونبله، حيث جعل الاشتغال بالعلم لله، أفضل من نوافل العبادات البدنية. وهذا الباب هو بمثابة قاسم مشترك مع التآليف التربوية لفقهاء الغرب الإسلامي، إذ استهل بمثله ابن سحنون والقابسي رسالتيهما.

أما الباب الثاني فقد خصه لإبراز "آداب العالم في نفسه، ومع طلبته ودرسه". حيث يشكل المعلم في نظر ابن جماعة أهم أركان العملية التعليمية، والتعليم عنده لا يتم دون معلم، كما أن تحقيق النفع من التعليم منوط بحسن اختيار المعلم الذي تستوي فيه مجموعة من الشروط[40] تساعده على مراقبة أحوال الطلبة وأخلاقهم وتأديبهم، التأديب الحسن. فالطفل من وجهة نظر المؤلف، يجوز للمعلم تأديبه بشتى الوسائل تحقيقا لمنفعته[41]، وهي النظرة التربوية نفسها الواردة عند ابن سحنون والقابسي وابن الجزار. والتي يخيل إلينا أنها انعكاس لصورة الطفل في المجتمع، باعتباره كائناً يميل إلى الشقاوة الزائدة التي تستدعي إكراهه ومعاقبته تهذيبا لسلوكه وأخلاقه مع نفسه ومعلمه ودروسه، وهو ما أفصحت عنه مضامين الباب الثالث- من كتاب ابن جماعة- الموسوم بـ"آداب المتعلم".

وبالمثل، جاء الباب الرابع مقيدا بـ"في الأدب مع الكتب التي هي آلة العلم وما يتعلق بتصحيحها وضبطها وحملها ووضعها وشرائها ورعايتها ونسخها وغير ذلك" وفيه أحد عشر فصلا، تهم بشكل أساسي ما ينبغي لطالب العلم من "عناية بجمع الكتب"[42]، و"أدب في إعارتها واستعارتها وصيانتها وترتيبها"[43]،بل شمل الأمر جزءاً مما يجب على الطالب أن يراعيه في "صناعة الكتب ونسخها وإخراجها"[44]وهو ما نعتبره انفراداً ميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب التي ألفت في شأن التربية، حتى وإن كنا نميل إلى الاعتقاد أنه كان يهم بشكل أساسي صغار الطلاب[45] وليس الولدان.

ومن الأدلة التي تثبت هذا الاستخراج، ما أورده أحد الجغرافيين[46]- حتى وإن اختلف المجال المقصود بينهما- عن مدارس الأطفال بمدينة فاس خلال الفترة مدار البحث، حيث يشير إلى أن "تعليم الأطفال القراءة والكتابة لم تكن على مستوى الكتاب، بل في ألواح كبيرة يكتب عليها التلاميذ {...} إلى أن يحدق الطفل جيدا... فيقوم المعلم بتعليم الأطفال شيئا من قواعد الكتابة". وهي القواعد نفسها التي أشار إليها ابن جماعة فيما يتعلق بصناعة الكتاب ونسخه وإخراجه.

وفي السياق نفسه، ضم الكتاب بعض ما يتعلق بسكنى المدارس، و"كيفية اغتنام الطالب أوقاته داخلها"[47]، و"الشروط الواجب احترامها"[48]، و"ما لا ينبغي القيام به أثناء السكن بها"[49]. حيث جاء كل ذلك موسوما في الباب الخامس بـ"في آداب سكنى المدارس للمنتهي والطالب، لأنها مساكنهم في الغالب".

وهي شروط نعتقد أن في إيرادها من طرف مؤلف هذا الكتاب تعبير عن طبيعة المشاكل التي كان يطرحها استقرار الطلبة بالمدارس في الشرق الإسلامي. على غرار الغرب الإسلامي، وهو ما عبرت عنه بعض النوازل الفقهية[50] خلال فترة الأخيرة من زمن هذا البحث.

ثانيا: "قانون[51]." ابن سينا[52]: من أجل نمو سليم للطفل.

1- أهمية كتاب ابن سينا: ارتبط مفهوم الطب عند العرب والمسلمين الأوائل ببناء مجتمع سليم معافى على المستويين الجسدي والنفسي، لكي يتمتع أفراده بالعافية والقوة، وهذا ما عبر عنه ابن سينا بالقول: "الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة"[53]. ولربما هذا ما يفسر كثرة المؤلفات الطبية[54] عند المسلمين خلال العصر الوسيط.

لذا فمن المفيد، الإشارة إلى أن كتاب ابن سينا- القانون في الطب- من أكثر تلك المؤلفات أهمية، كتبه باللغة العربية، وجاء على شكل وثيقة "تاريخية" تحوي مجموعة من علوم الطب منذ أقدم الأزمنة وحتى العصر الذي عاش فيه.

كما قدم فيه وصفاً شاملاً لتشريح مكونات الإنسان الجسمية من عظام وعضلات وأعصاب وشرايين، وعرض مجموعة من الأمراض التي يتعرض لها الإنسان وكيفية علاجها.

علاوة على ذلك، اعتمد ابن سينا منهجا واضحا في عرض موضوعات كتابه وتنظيمها وفق خطة علمية قريبة لما تتبعه الكتب الطبية المدرسة حديثا؛ ففي معظم الحالات يعمل على المزاوجة بين الشق النظري والعملي، بشكل انعكس على طريقة سرده لمختلف الأمراض، حيث يتعرض لتصنيفها، ثم ذكر أسبابها، وأعراضها، ثم علاجها وإنذارها. وهو ما عبر عنه في مقدمة كتابه بالقول[55]: "ورأيت أن أتكلم أولا في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب، أعني القسم النظري، والقسم العملي. ثم بعد ذلك أتكلم في الأمراض الواقعة بعضو عضو، فأبتدئ أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته{...} ثم إذا فرغت من تشريح ذلك

العضو ابتدأت بأكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته. ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها بالقول الكلي أيضا، فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية".

ونميل إلى الاعتقاد، أن أهمية كتاب القانون في الطب لابن سينا لا تقتصر على ما شمله من معلومات طبية فقط، بل يعتبر مصدرا أساسيا في فهم التراث التربوي الإسلامي الخاص بتدبير صحة الأطفال، ورعاية نموهم، وضمان حسن تربيتهم، بشكل جعل آرائه عن الطفل مغايرة لتلك "الصورة" التي رسمتها كتب التربية[56] في عصره والتي جعلت منه كائناً طيعاً، منعدم الإرادة. فكان هذا الكتاب بحق "دراسة نفسية سباقة، سواء في علم النفس الفيزيولوجي، أو علم نفس النمو"[57]. كما سنأتي على تبيان ذلك.

2- صحة الطفل في قانون ابن سينا:: إذا كان الوصف والتحليل البيبليوغرافي الذي أوردناه سلفا أثبت شمولية قانون ابن سينا لمجموعة من المعلومات الطبية التي تهم صحة الإنسان، وسبل وقايته من الأمراض. فالراجح أن أهمية هذا المؤلف لا تقتصر على ذلك فقط، بل يعتبر هذا النص مصدرا أساسيا في فهم التراث التربوي الإسلامي الخاص بتدبير صحة الأطفال، ورعاية نموهم، وضمان حسن تربيتهم.

ونجد صدى هذا التوجه " الصحي التربوي"، في أول قسم من الكتاب، حيث أفرد الشيخ الرئيس جزءاً مهما منه للحديث عن تربية الأطفال وأمراضهم وسماه بـ"التعليم الأول في التربية"[58]وقسمه إلى أربعة فصول.

تحدث في الفصل الأول "عن تدبير المولود منذ أن يولد إلى أن ينهض"، مستعرضا في ذلك أساليب العناية به، بدءا من تحديد كيفية "استحمامه وإلباسه وتقميطه"[59]، وصولا إلى المكان الملائم لوضعه- والواجب فيه أن يكون معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار-.

والواضح أن لحظة الوضع (الولادة) في المجتمع المغربي .الأندلسي ارتبطت بالعديد من العادات الاجتماعية، والتي حملت في مجملها تعبيرات تفصح عن الذهنية المحبذة للإكثار من النسل والولد، حيث جرت العادة أن تقطع القابلة سرة الجنين بالسكين في حضور من الصبيان الصغار[60]. ليشرع بعدها في الترتيبات لإقامة حفل العقيقة؛ إذ كان يتعين على والد الصبي المولود أن يقيم مأدبة يحضرها عدد من المدعوين من بينهم معلمي الصبيان[61]، يختار فيها للصبي أحسن الأسماء[62].

وبالمثل، بحث في الفصل الثاني "عن تدبير الطفل في الإرضاع والنقل" وما يجب أن يكون فيهما. داعيا إلى ضرورة بذل كل المحاولات لأن يرضع الوليد من لبن أمه[63]، لما في ذلك من عظيم النفع عليه ودفع ما يؤذيه. أما فيما يتعلق بنهوض الطفل وتحركه، فيقول ابن سينا في ذلك: " فإذا أخد ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن من الحركات العنيفة ولا يجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه"[64].

ولا تعوزنا الدلائل الكاشفة عن وعي الأسرة في المجتمع المغربي . الأندلسي خلال الفترة قيد الدرس، بأهمية إرضاع الابن من حليب الأم، لما له من انعكاسات إيجابية على صحة الرضيع ونموه. ومن ذلك ما تضمنت نوازل المرحلة من إشارات تعكس الحرص الذي أبدته العديد من الأسر في تغذية أطفالها بحليب الأم رغم حالات التفكك التي كانت تعيشها[65].

وضمن السياق نفسه، تطالعنا مضامين الفصل الثالث، بتفاصيل مسهبة عن مجموعة من الأمراض التي قد يصاب بها الطفل[66]، وعن أسبابها، وأعراضها، وكذلك أهم الطرائق اللازمة لعلاجها. وعلى الرغم من الصبغة النظرية لبعض ما ورد في هذا المؤلف عن أمراض الأطفال، وانتماء مؤلفه لمجال غير مجال دراستنا، فإن ما يقدمه من معلومات تساعد في تحديد بعض الأمراض[67] التي أشارت مصادر الغرب الإسلامي إلى شيوع انتشارها في صفوف الأطفال بالمجتمع المغربي - الأندلسي خلال العصر الوسيط، والتي نميل إلى الاعتقاد في مساهمتها بنصيب مهم من وفيات المواليد.

ولا شك أن ظروف الحاجة والفقر التي عانت منها بعض الأسر في المجتمع المغربي - الأندلسي، زادت من حدة الأمراض التي كان الأطفال بالأساس عرضة لها نتيجة لسوء التغذية، وغياب الوعي بظروف الوقاية الصحية، فضلا عن العوامل الوراثية[68].

وبالموازاة مع ذلك، جاء الفصل الرابع مخصصا للحديث عن الطرائق التربوية المساعدة في التكوين الخلقي والسلوكي للطفل حتى سن البلوغ، وفيه يؤكد ابن سينا على ضرورة مراعاة الخصوصيات النفسية والفيزيولوجية لمرحلة الصبى حتى "لا يصيبه غضب شديد أو خوف شديد او غم او سهر"[69]. مبينا أن في هذا منفعتين: "أولاهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير له ذلك ملكة لازمة. والثانية لبدنه ففي تعديل الأخلاق {الصبي وتهذيبها} حفظ الصحة للنفس والبدن جميعا معا"[70].

ولا يفوتنا في الأخير، أن نشير إلى أن الفكر التربوي عند ابن سينا لم يغفل أهمية اللعب في بناء شخصية الطفل وتنشئته، فيقول: "وإذا انتهى الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئا يسيرا ثم يطلق له اللعب الأطول ثم يستحم، ثم يغذى، ويجتنبون ما أمكن شرب الماء على الطعام"[71].

الظاهر أن الفصول التي أوردناها سالفا، تثبت وقوع الكثير من مضامين الجزء الأول من كتاب ابن سينا، في العناية بصحة الطفل ورصد أهم أساليب تربيته. إذ تنطوي ضمنه مجموعة من النصوص التي تتضمن نظريات تهم تدبير صحة الصبيان وتنشئتهم وفق تفكير فلسفي عقلاني لم يتخذ صاحبه تنشئة الأطفال مأخذا دينا محضا، كما هو شأن الرسائل التربوية لابن سحنون والقابسي وابن جماعة، فهؤلاء الأعلام كان انشغالهم بالتربية انشغالا دينيا صرفا، لدرجة دفعت أحد الباحثين إلى القول إن "التربية عندهم اختزلت في معنى التأديب"[72].

ثالثا: ملامح من "صورة الطفل في "مقدمة" ابن خلدون:

3- ابن خلدون ... موضوع "مبتذل معاد"[73]: بهذه العبارة استهل المفكر محمد عابد الجابري مقدمة كتابه عن "فكر ابن خلدون: العصبية والدولة"، قبل أن يشرع في سرد دوافع اشتغاله على "المقدمة" رغم اعتقاده في البداية أنها "قتلت" بحثا ودرسا. والحقيقة، أن جزءا كبيرا من الإشكالات التي تواجه الباحث الذي يسعى إلى الاشتغال بفكر ابن خلدون هو طبيعة الإضافة التي سيقدمها في ضل العدد الكبير من الدراسات والأبحاث التي كتبت ونشرت عنه، والمتفاوتة عمقا، ودراية، وإحاطة.

وغني عن البيان، أن هذا التركيز في الاشتغال على تراث ابن خلدون بالدراسة والتحليل، قد انصب في أغلبه عما جاء في "مقدمته"، التي شملت خلاصة أفكاره وتجاربه؛ في التاريخ، ومظاهر العمران البشري والاجتماع، والفلسفة والاقتصاد، والسياسة والأخلاق والعدالة، والحكم والقضاء، إلى جانب مظاهر التحضر والبداوة، والعلوم الدينية والعقلية. فضلا عما تضمنته من آراء في التربية والتعليم والتأديب، والتي نعتقد أنها خلاصة ما وصلت إليه التربية في عصره. نرجو أن تكون هذه المحاولة في الدراسة مدخلا لمشروع غايته إجراء قراءات- متعددة في المستقبل- فاحصة ومتأنية لنص "المقدمة" عسى أن تكشف سيرورة التراكم في الاطلاع عن جزء من "صورة الطفل خلال العصر الوسيط" في ثنايا هذا الفكر.

وحتى لا تكون محاولتي هذه مجرد تكرار لما كتب، وفي أحسن الأحوال، مجرد عملية انتقاء واختيار من الذي كتب وهو كثير. سنكتفي في هذه الدراسة بالوقوف مع نص يوضح مفهوم التربية والتأديب عند ابن خلدون، نعتقد أنه تجاوز الإطار الاصطلاحي للتربية، والبعد السلوكي للعقاب، والمنهج التقليدي المتبع في التعليم.

4- التربية والتأديب في "مقدمة" ابن خلدون: ليس غريبا أن يتأثر أهل العلم والقلم في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بالحضور القوي للطفل في بنيات المجتمع ومعتقداته، حسبا ذليلا في ذلك، المكانة التي احتلتها الأسس التربوية والنفسية لتنشئة الأطفال وتعليمهم في مقدمة ابن خلدون؛ إذ لم يهمل الحديث عن ضروراتها وأسسها ومشكلاتها فقط، بل جعل العلم والتعليم من ضرورات العمران البشري[74]. كما أن الأنموذج الذي قدمه في تربية وتعليم الأطفال اختلف باختلاف الأمصار[75].

ولا شك أن الإنتاج الثقافي خلال العصر الوسيط استحضر مركزية التربية في تنشئة الأطفال وبناء الإنسان جسديا وروحيا، من تجليات ذلك مساهمة علماء القيروان[76] مساهمة فعالة في تأصيل الفكر التربوي- كما سبقت الإشارة- فضلا عما قدمته المدرسة المشرقية من خلال أنموذج بدر الدين ابن جماعة[77]- وإن اختلفت أراء هؤلاء في التقعيد والتأصيل للتربية والتأديب "إلا أن التقليد في التحرير غلب على الكثير منها"[78]؛ فالتقت في الغالب عند المقاربة الدينية الفقهية للتربية والتأديب[79]. والحال أننا نعتقد أن معالجة ابن خلدون لهذه القضايا تجاوزت هذا التقليد، واتسمت برؤية جامعة للبعدين النفسي والفيزيولوجي للطفل. وهو ما يكشفه النص التالي: "إن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له عادات وخلقا، وفسدت معانيه الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن {...} وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف"[80].

بهذا الأسلوب عبر ابن خلدون على أن الافراط في القسوة والاستبداد بالأطفال خلال مراحلهم النمائية الأولى هي أشد أثرا، باعتبارها تولد ملكة سيئة ملازمة لهم تظل راسخة في

أعماقهم يصعب الانفكاك منها، ولا يستطيع ناظر أمين في شؤون التربية المعاصرة إنكار هذه الحقيقة النفسية.

فالتربية إذن عند ابن خلدون مفهوم شامل يتناول الطفل بأبعاده المادية والنفسية والفكرية والخلقية، وهي بذلك أشبه بما يصطلح عليه حديثا بالتنشئة الاجتماعية.[81] فالاستبداد في تربية صغار الولدان على سبيل المثال، يؤدي حتما إلى صناعة مجتمع منحرف؛ فاقد لحرارة الانتماء والشعور بالانتساب إلى الإنسانية.

بل يصور ابن خلدون نتائج العسف الممارس على هذه الشريحة العمرية، في صورة قاتمة تعكس وعيه الحضاري بسوء التنشئة وقساوتها، وآثارها النفسية، والعلمية، والانسانية؛ لدرجة أن يصبح الطفل فاقدا لروح المبادرة، والمشاركة الاجتماعية؛ منعزلا عن الأوساط الفاعلة في المجتمع محليا وإنسانيا، وقد "صار عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غاياتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد أسفل السافلين"[82].

يمكن القول- بقدر كبير من الاطمئنان- إن استحضار ابن خلدون لجملة من الأسس التربوية، والخلقية، والعلمية، والنفسية، الواجب مراعاتها في التعامل مع أصاغر الولد، هو تأصيل لمنهج تربوي فريد واف في التربية والتأديب، والتعليم، عكس وعيا كبيرا ـ لذى جزء مهم من النخبة العالمة في المجتمع المغربي- الأندلسي خلال العصر الوسيط- بأهمية هذه الشريحة العمرية في البناء الحضاري للأمة الإسلامية وضمان استمرارها.

فالطفل عند ابن خلدون ليس بكائن خبيث، شرير، "تراه في ابتداء نشوئه يكون على الأكثر قبيح الأفعال، إما كلها وإما أكثرها، فإنه يكون كذوبا ويحكي ويخبر ما لم يسمعه وما لم يره، ويكون حسودا سروقا نماما لجوجا ذا فضول أضر شيء بنفسه وبكل ما يلامسه"[83]. وإنما هو صفحة بيضاء لم يكتب عليها شيء، فـ"الصورة الشريرة" التي يبدو عليها الطفل ماهي إلا نتاج للتربية المتعسفة في أول النشأة كما أوضح ذلك صاحب المقدمة.

فلا جرم إذن أن البيئة التي تغيب فيها أساليب القهر والاستبداد في حق الأطفال، هي بيئة صحية منتجة لكائن سوي نفسيا وتربويا وخلقيا؛ والغالب على الظن "أن الترهل العلمي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي الذي نشاهده في مجتمعاتنا اليوم ما هو إلا صورة حقيقية لمربى القهر والعسف، والإكراه الممارس على الفرد في طفولته"[84].

وتضرب الصورة التي قدمها الغزالي مثالا بارعا في هذا الاتجاه، فقد اعتبر "قلب الطفل الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش وصورة مائل إلى كل ما يمكن أن يمل به عليه، فإن عود الخير وعلم، نشأ عليه، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والولي به"[85].

خاتمة: صفوة القول، إن النماذج التي اعتمدناها في هذا المبحث كفيلة بإدراك مساحة الوعي الفكري والنفسي والتربوي الذي أسهمت "النخبة" العالمة في ترسيخه خلال العصر الوسيط، بالخطاب والتوجيه أحيانا،- الفتاوى- والفعل أحيانا أخرى- اعتبارا لكون بعضهم كان مُؤَدِبا -. من أجل ضمان تنشئة الأطفال تنشئة سليمة، وتعليمهم تعليما نافعا يراعي التدبير الحسن لمراحل طفولتهم حتى سن البلوغ. ولا شك أن وقع هذا الخطاب كان له تأثير على الذوات البشرية في علاقتها بهذه الشريحة العمرية.

وعلى هذا الأساس، نميل إلى الاعتقاد أن الاشتغال في بحث أكاديمي مستقل بموضوع "الطفل بالمجتمع المغربي- الأندلسي خلال العصر الوسيط"، لن يكتمل إلا برصد أساليب تنشئته وتعليمه، وطرائق تربيته وتدبيره، من أجل بناء مقاربة نفسية تربوية، وتركيبها تركيبا تاريخيا يهم ابراز دور العقاب في سياسة تدبير الصبيان وانعكاساته على نفسيتهم وسلوكهم، لذلك سعت هذه الورقة البحثية- في خطوة أولية- إلى الإحاطة بمساوئ مسك الشدة والقهر والاستبداد على نفسية الأطفال نتيجة حاجتهم أثناء التأديب والتربية والتعليم إلى حسن التدبير والرفق والمعاضدة.

الهوامش:

1. نقصد هنا بالأساس: ابن قزمان، الديوان، دراسة وتحقيق كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1980م/الزجالي، ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام (أمثال العوام في الأندلس)، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية، فاس 1391هـ/1971م.

2. آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب . محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس الطبعة الثانية، 1972.

3. سياسة الصبيان تدبيرهم، تحقيق وتقديم، محمد الحبيب الهيلة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة قرطاج، 2008.

4.الرسالة المفصلة في أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، دراسة وتحقيق وفهارس وترجمة فرنسية، أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986م. صص7. 14.----5. القانون في الطب، وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.---- 6. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، اعتنى به، محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2012.----7. المقدمة، دراسة وتحقيق علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، الطبعة السابعة، 2014.

8. هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعد سحنون . واسمه عبد السلام . بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد بالقيروان سنة 202هـ تربى في كنف أبيه سحنون، فقيه إفريقية، ونشأ بين يديه، فاعتنى بتربيته وتعليمه بما يناسب، رحل إلى المشرق من أجل الحج وطلب العلم سنة 235هـ، ثم عاد إلى إفريقية وانكب على تدوين نتائج أبحاثة وتأليف مروياته، توفي سنة 256هـ ودفن بالقيروان، له تأليفات اخرى أبرزها "كتاب الأجوبة" و "كتاب المسند في الحديث".----9. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب . محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس الطبعة الثانية، 1972.----10. لا تتجاوز ست وعشرين صفحة في النسخة المخطوطة المعتمدة في التحقيق.

11. مثل ما روي عن سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" وفي رواية أخرى عن سيدنا علي أبن أبي طالب رضي الله عنه عن الرسول الله صلى عليه وسلم أنه قال: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه". صحيح البخاري، كتابة فضائل القرآن، باب "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، حديث : 5027 . 5028.----12. الحسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/7-15م)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئة، سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 1، مطبعة المعارف، الجديدة، 2004، صص 153 . 154.----13. محمد ابن سحنون، م. س، ص102.----14. نفسه، ص 106.

15. أحمد شبشوب، "إشكالية مفهوم الطفولة في التراث العربي الإسلامي"، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة بالجمهورية التونسية، عدد مزدوج 67 . 68، 1994م، ص122.----16. نفسه، ص89.----17. نفسه، صص 100 . 101.

18. هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد يعرف بابن الجزار، ولد بالقيروان حوالي (294هـ / 906م) في أسرة اشتهرت بالطب، وكان عالما بالطب حسن الفهم والنظر فيه . حسب ما أورد صاحب عيون الأنباء ، توفي بالقيروان حوالي (373هـ/ 984م)، اشتهر طيلة حياته بالتأليف، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن لابن الجزار القيرواني سبعا وعشرين تصنيفا؛ في الطب والتاريخ والجغرافيا والأدب، من أهمها: "كتاب في علاج الامراض يعرف بـ "زاد المسافر" (مجلدان)، كتاب في الأدوية المركبة يعرف بـ "البغية"، كتاب "طب الفقراء". للاطلاع أكثر انظر ترجمته: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، صص '480 . 481؛ أحمد شوكت، شطي، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، منشورات كلية الطب، جامعة حلب، 1990، ص 79؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، م. س، ص 137.

19. تحقيق وتقديم، محمد الحبيب الهيلة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة قرطاج، 2008.----20. علي محمد إدريس، "التربية الصحية في كتاب "سياسة الصبيان وتدبيرهم" لابن الجزار القيرواني". مجلة العلوم التربوية، جامعة الملك سعود، كلية التربية، المجلد الثالث، العدد 1، 1406هـ / 1986م، ص 181.----21. ابن الجزار، م س، صص59-67.----22. نفسه، صص 136 . 141.----23. نفسه، ص59.

24. ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980، مج2، ص 327/نفسه-الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977م، مج4، ص 125.

25. علي محمد إدريس، م. س، ص182.----26. ريحانة الكتاب...، م. س، مج2، صص 324 . 325؛ الإحاطة، م. س، مج4، صص 122 . 123.

27. هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي المالكي، ولد على الأرجح بالقيروان سنة 324هـ / 935م، كان حافظا للحديث، بصيرا بالرجال، عاش جزء كبيرا تحت الحكم الشيعي الفاطمي، شد الرحال إلى المشرق الإسلامي سنة (352هـ) وحج سنة ثلاثة وخمسين وثلاثمائة 353هـ توفي بالقيروان سنة 403هـ/1012م. له مؤلفات عدة منها: "ملخص الموطأ" و "الذكر والدعاء" و " الاعتقادات". للاطلاع اكثر على ترجمته أنظر: محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق، عمر علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2007م، ج1، ص228. ابن خلكان، م. س، ج3، ص9 : الذهبي، م. س، ج17، صص 159 . 162، القابسي، الر سالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، دراسة وتحقيق وفهارس وترجمة فرنسية، أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986م. صص7. 14.

28. دراسة وتحقيق وفهارس وترجمة فرنسية، أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1986.

29. القابسي، م. س، ص4. (ضمن مقدمة المحقق).----30. ديمة محمد محمود وصوص؛ المعتصم بالله سليمان الجوارنة،من ملامح الفكر التربوي عند الإمام القابسي . دراسة تحليلية نقدية . دراسات العلوم التربوية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، المجلد 41، العدد2، 2014م، ص903.----

31. القابسي، م. س، ص67.----32. نفسه، ص129.----33. نفسه، ص127.----34. نفسه، صص129-130.

35. البرزلي، جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى. 2002. ج6، صص90-92؛ الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، 1981م، ج2، ص 267، 269، 276، 423.

36. أحمد شبشوب، "إشكالية مفهوم الطفولة في التراث العربي الإسلامي"، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة بالجمهورية التونسية، عدد مزدوج 67 . 68، 1994م،. ص122.

37. هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني نسبا، الحموي مولدا، الشافعي مذهبا، ولد سنة 639هـ في الشام في بيت علم وديانة وقضاء، تعاطى التدريس والقضاء بالقدس ومصر والشام، توفي بمصر سنة 733هـ. له عدة تصنيفات أخرى منها: "المنهل الروي" و "المسالك في علوم المناسك" و "النجم الامع في شرح جميع الجوامع". للاطلاع على ترجمته: تاج الدين السبكي (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطانحي . عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1964، ج9، ص139؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، م. س، ج2، ص18؛ بدر الدين ابن جماعة، تذكر السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق محمد بن المهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، 2012، صص 11 . 13.

38. اعتنى به، محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 2012.

39. ابن جماعة، م. س، ص 33.----40. نفسه، ص 72، 75، 79.----41. ابن جماعة، م. س، ص80.----42. نفسه، ص 126.

43. نفسه، صص 127 . 130.----44. ابن جماعة، م. س، صص131. 135.

45. كان يطلق عليه حسب تعريف ابي سعيد ابن لب الأندلسي (ت 782)، على المتعلم عندما يبدأ في حفظ القراءات السبع. ويشرع في طلب العلم والتردد على أهله (ولا يقوم بذلك إلا في بداية سن المراهقة). الونشريسي، م. س، ج7،ص 264.

46. الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج1 ص261.---47. ابن جماعة، م. س، ص141.----48. نفسه، ص139.---49. نفسه، ص144.----50.الونشريشي، م. س، ج7، صص265. 266.

51. وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، (في ثلاثة اجزاء).

52. هو أبو علي الحسين ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، الفيلسوف الحكيم المشهور، الملقب بالرئيس، كان نادرة عصره في علمه وذكائه. ولد في قرية أفشنة في بخارى سنة 380هـ/980م له تصانيف عدة في ميادين الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب أشهرها: كتاب "الشفا"، و"الاشارات" و" القانون في الطب" توفي بهمدان سنة 423هـ/ 1027م. للاطلاع على ترجمته: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقة الأطباء، شرح وتحقيق، نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص459.437/ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م ج2، 157. 162/الذهبي، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ج17، تحقيق وتعليق شعيب الأرنؤوط؛ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996م، ج17، صم، ص 531 . 536/ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م، ج1، صص 5. 8 .

53. ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م، ج1، ص 13.

54. حفل الانتاج الثقافي العالم خلال العصر الوسيط، بالعالم الاسلامي عامة، والغرب الإسلامي بوجه خاص، بمصنفات طبية مهمة اعتنى بعض منها بصحة الطفل، ولازالت أغلبها عبارة كتب مخطوطة، نذكر منها: ابن حبيب(عبد المالك ت 238هـ)، مختصر في الطب، مخ.خ.ع، الرباط، رقم: 1442 د؛ ابن خلصون (ت اواخر القرن 7هـ)، كتاب في الطب، مخ.خ.ع، الرباط، رقم: 1204ك؛ ابن الخطيب (ت 776هـ)، الوصول لحفظ الصحة في الفصول، مخ.خ.ح، الرباط، رقم: 797، مجموع، 77؛ الشقوري (كان حيا 749هـ)، مقالة في الطب، مخ.خ.ع، الرباط، رقم: 1035د؛ مجهول، شرح رجز في الحمى واجناس الاورام، مخ.خ.ع، الرباط، رقم: 1680د؛ ابن رشد (ت 595هـ)، الكليات في الطب، تحقيق احمد محفوظ، تقديم محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999م؛ الرندي، كتاب الأغدية، نشره محمد العربي الخطابي ضمن كتاب: الأغدية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1990م.----55. ابن سينا، م. س، ج1، ص9.

56. ونخص بالذكر هنا ما تضمنته رسالة ابن سحنون، ورسالة القابسي، وتذكرة ابن جماعة.

57. محمود عبد اللطيف، الفكر التربوي عند بن سينا، سلسلة التراث العربي الإسلامي في مجال الفكر التربوي 3، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009م، ص 35.----58. ابن سينا، م. س، ج1، ص 203.---59. نفسه، ج1، ص 203 . 204.

60. ابن الحاج، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انحلت وبيان شناعتها وقبحها، المطبعة العامرة الشريفة،1320هـ، ج3، ص 33.----61. الونشريسي، م. س، ج8، ص 242 . 243.----62. نفسه، م. س، ج11، ص 139.

63. نفسه، ج1، ص 204 . 205.----64. نفسه، ج1، ص 110.

65. ابن الحاج التجيبي، نوازل ابن الحاج التيجيبي، دراسة وتحقيق أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1439هـ / 2018م، ج1، ص 406 . 407؛ الونشريسي، م. س، ج4، ص 27؛ ج3، ص101.

66. تحدث ابن سينا عن مجموعة من الأمراض الجلدية والعلل الباطنية التي قد تصيب الصبيان من قبيل: أورام تعرض للرضع في اللثة عند نبات الأسنان وما يصاحب ذلك من استطلاق للبطن (الإسهال)، كما تحدث عن الإمساك، وسوء التنفس، والسعال والزكام، وأمراض الأذن، والعمى، ومرض يتظاهر في شكل بثور سوداء تظهر في البدن وهو مرض قاتل (نعتقد انه الجذري)، وتبديل لسوء مزاج، وأحلام تفزع الطفل في نومه نظرا لفساد الطعام في معدته... ابن سينا، م. س، ج1، صص 211 . 220.----67. ابن الحاج، المدخل، م. س، ج3، صص 37 . 38؛ الونشريسي، م. س، ج3، 342؛ الوزان، م. س، ج1، ص 83، 85.----68. المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار صادر، بيروت، 1388هـ . 1968م، ج3، ص 380.----69. ابن سبنا، م. س، ج1، ص، 220.---70. نفس المصدر والصفحة.---71. نفس المصدر والصفحة.

72. محمد جواد رضا، التربية الإسلامية . تساؤلات حول بداية الإسلام والحداثة . دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة1، 1997، ص103.---73. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994م، ص 7.----74. ابن خلدون، م. س، ج3، صص 925 .931----75. نفسه، ج3، صص1115. 1118.----76. نقصد بشكل أساسي مساهمة، محمد ابن سحنون، وابن الجزار القيرواني، وأبو الحسن القابسي، في تأصيل ثقافة التأديب في معرض حديثهم عن طبيعة العلاقة التي يجب أن تربط العالم(المعلم) بالمتعلم.---77. نقصد هنا بشكل أساسي ما قدمه من أراء تربوية تهم تهم طبيعة العلاقة بين المعلم والمتعلم، وما يلزم هذا الأخير من تأدب في تعامله مع نفسه ومعلمه وما يتعلمه من علم والمكان الذي ينهل منه هذا العلم.للإطلاع أكثر انظر: بدر الدين ابن جماعة، تذكر السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق محمد بن المهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، 2012.

78. عزيز محمد عدمان، "مقاربة نفسية تربوية معاصرة في سياسة العقاب، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، لبنان، العدد 157 /158، السنة الأربعون، يوبو- اغسطس- سبتمبر- أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر 2015، ص259.----79. بشكل عكس في اعتقادنا وحدة البنية الفكرية على المستوى التربوي واستمراريتها.----80. ابن خلدون، المقدمة، م. س، ج3، ص1110.----81. إنكر أليكس، مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، وآخرون، دار المعارف القاهرة، الطبعة 3، 1978، ص 110.

82. ابن خلدون، م. س، ج3، ص1119.----83. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مطبعة الترقي، القاهرة، ط1، 1317هـ، ص48.----83. عزيز محمد عدمان، م. س، ص269.----85. الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005، مج3، ص955.